[فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ]

[فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ]: [ فَلَآ أُقۡسِمُ ] هذا التعبير كثير في كتاب الله ﷻ، كقول الله تعالى: [لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ ] {القيامة:١} [لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ ] {البلد:١}، وقد اختلف المفسرون في توجيهه ، فقال بعضهم إن [لَآ ] زائدة ، والمراد : [ أُقۡسِمُ ]، وإنما نفى القسم، لكون الأمر من الوضوح والبيان بمكان لا يحتاج فيها إلى القسم. وهذا أبلغ. وقال بعضهم: إن معنى قوله [لَآ أُقۡسِمُ ] أو[فَلَآ أُقۡسِمُ ] على تقدير محذوف، أي: ليس الأمر كما تظنون، [أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ]، ولا الأمر كما تظنون [لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ ] {القيامة:١}. فالمنفي هو ذلك الباطل الذي يعتقدون. وبعضهم قال إن [لَآ ]زائدة لفظاً لا معنىً ؛ يعني أنه لا يراد بها حقيقة النفي، وإنما يراد بها التأكيد .

واختلف العلماء في المراد [بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ]على ثلاثة أقوال: فقيل: المراد بها النجوم السيارة، وقيل الكواكب المعروفة،وقيل: الظباء، أو بقر الوحش. ومعنى(الخنس) التي تغيب وتطلع. ومعنى[ٱلۡجَوَارِ] النجوم التي تجري في فلكها، أو الظباء في فلاواتها. ومعنى[ٱلۡكُنَّسِ]: المكان الذي تختفي فيه الظباء والوحوش، أي المكانس، وهي الحُجَر التي تأوي إليها. وأرجح هذه الأقوال الثلاثة النجوم، وإن كان ابن جرير، رحمه الله، رجح بأن المراد كل ما يخنس، ويجري، ويدخل في كناسه[1]، وأن كل ذلك يصلح محلاً للقسم. لكن يؤيد كونها النجوم أن النجوم أبين، وأظهر؛ يراها الناس جميعاً، وتؤيدها آية الواقعة [ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ ] {الواقعة:٧٥} .

[إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ]: [إِنَّهُۥ] أي القرآن، [رَسُولٖ كَرِيمٖ ] المراد به جبريل عليه السلام. وهذا لا يعني أن القرآن من كلام جبريل، وإنما المراد أنه مبلغ عن مرسله، فوظيفته في هذا الأمر النقل، والتبليغ. ولهذا عرفه بأنه رسول فالقرآن كلام الله، والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً ومؤدياً، فلهذا أضافه الله إلى نفسه فقال: [حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ] {التوبة:٦} .

---

[1] تفسير الطبري (٢٤/١٥٨).

وقد قال في آية الحاقة [إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ] {الحاقة:٤٠} وأراد به محمد ﷺ فدل أن إضافة القول إلى جبريل عليه السلام تارة وإلى محمد ﷺ تارة إضافة تبليغ فقط إذا لايمكن أن يكون لا يمكن أن يكون كلام كل واحدٍ منهما.

[ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ ]: [ذِي ٱلۡعَرۡشِ]هو الله سبحانه وتعالى، [مَكِينٖ]يعني: ذي مكانة، ومنزلة .

[مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾] [مُّطَاعٖ ] يعني أن جبريل، عليه السلام تطيعه الملائكة، (ثَمَّ أَمِينٍ) يعني أنه مؤتمن على الوحي. وكل هذا توثيق للرسالة.

[وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ ]: المراد بالصاحب محمد ﷺ وإنما نفى عنه الجنون، لأنهم كانوا ينبزونه بذلك فبرأه الله منه .

[وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ]:أي أن النبي ﷺرأى جبريل عليه السلام، بالأفق المبين، وهو مطلع الشمس، أو مغربها، مكان التقاء الأرض بالسماءو بحسب رأي العين .

[وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ ] [بِضَنِينٖ ]أي لا يبخل بالوحي، ولا يأخذ عليه أجراً. وفي قراءة أخرى[ظنين] يعني من الظِّنة، أي ليس محلاً للتهمة، والظنة. فليس بمتهم في تبليغ رسالات ربه، وفي هذا أعظم التزكية.